في تاريخ البلاغة العربية

أ.د بشير كحيل

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة باجي مختار - عنابة

ملخص

لعل أهم ما يمكن توجيه النظر إليه هو ذلك الجدل الذي يثار عادة بين العلماء حول مراحل تشكّل العلم و المعرفة، و هو جدل يمكن أن ينسحب على البلاغة العربية. و من المؤكد أن نشأة البلاغة العربية مدينة إلى عاملين هامين أحدهما: داخلي يتمثل في آراء النقاد، و الآخر خارجي يمكن الوقوف عليه في ذلك الزاد المعرفي الذي قذفت به مختلف الثقافات الأخرى، و على رأسها بلاغة اليونان و الهند. لقد شكّلت بعض المراحل مظهرا من مظاهر المثاقفة، تحوّلت فيه الثقافة العربية بما فيها البلاغة إلى فضاء حيّ، يقوم على استيعاب ما يراه صالحا و يطرح ما عدا ذلك. إن هذا العامل الخارجي ظلّ له تأثيره القوي حتى في العصر الراهن.

Résumé

La naissance de la rhétorique arabe est imputable à des facteurs exogènes tels que les nombreux contacts des arabes avec les civilisations grecque et indoue qui ont favorisé son essor. A cela, s'ajoute des facteurs endogènes qui font de la rhétorique un espace vivant capable d'intégrer les éléments correspondants à ses valeurs. Toutefois l'influence extérieure demeure jusqu'à nos jours.

تشكل نشأة العلوم والمعارف جزءا هاما من تاريخها، بل لعلها النواة الحقيقية التي ينحدر منها كل تاريخ سواء أكان بشريا أو معرفيا، ليشهد نموه وتطوره أقوله واندثاره في نهاية المطاف. وربما كان مسار البلاغة في هذا لا يختلف عن مسار مختلف المعارف التي تنشأ داخل ظروف يكتنفها الغموض ويحيط بها النسيان، ويغلفها الظن والتخمين. فمن منا لا يذكر ذلك الجدل العقيم الذي دار بين العلماء حول نشأة التفكير العلمي، الذي يرجح في النهاية أنه نشأ بين أحضان السحر والشعوذة، ومن منا لا يذكر ما أحاط بنشأة اللغة والفنون من جدل امتد منذ أن بدأ البحث فيه إلى يومنا هذا ؟ ومهما يكن فإن البحث في نشأة البلاغة العربية يفرض عدة أسئلة تتلخص في :

أيمكن إرجاع تلك النشأة إلى شخص أو أشخاص، ما أهم الظروف التي أسهمت في تلك النشأة، أيمكن أن نرجع بعضها منها إلى الظروف الداخلية، أو أن نرجع بعضها الآخر إلى الظروف الخارجية، في أي شيء تتمثل تلك الظروف، وما صلة تلك النشأة بالخطابات الإبداعية باعتبارها - أي تلك النصوص - الفضاء الذي ينبثق من رحمها الفكر البلاغي؟

إن مسألة البحث في نشأة التفكير البلاغي وإن كانت تسبقها عدة افتراضات-فإنها تجعلنا نستبعد إرجاعها إلى شخص أو أشخاص، باعتبار أن ميلاد العلوم يؤكد صدق هذا الرأي على أقل تقدير، هذا إذا أضفنا إلى ذلك أن هذه النشأة لا تتبين إلا بالاستقراء الدقيق المعضد بالنقد والتمحيص، لاستحالة الادعاء أنها وليدة حيز زمني معين أو أنها منجز فردي، وليس اجتماعيا، يقول أمين الخولي: " لا نطمئن في تاريخ هذه البلاغة إلى ما وهم به أصحاب الأوليات فعدوا أشخاصا بأعينهم أو ذكروا مؤلفات بأسمائها، على حين كان ذلك عمل جيل سابق أو أكثر، هو الذي أنضح ما أتى هذا الشخص واحتوى عليه ذلك الكتاب" (1).

ومن البديهي أن المسألة-رغم هذا لم تحسم - إذ علينا أن نتساءل: كيف اختمرت فكرة التأسيس في أذهان جيل كامل، وما هي الأسباب الجوهرية التي تقف وراء ذلك، وما العوامل التي أنضجت تلك الفكرة حتى تحولت مع مرور الزمن إلى حقيقة؟ .

1- أهم العوامل الداخلية :

أ- الشعر العربي :

فأما أن الشعر له دور في نشأة البلاغة فأمر لاجدال فيه مادام ينهض على الخيال والتصوير والصياغة، والأسلوب، وما دامت الصحراء فضاء موحشا يهيمن على المخيال الشعري، فيحول الشاعر إلى مصور وترجمان للعواطف ومدافع عن الشرف .

ولا جدال في أن الصلة قوية بين الشعر والتصوير والوصف، باعتبار الأخير أداة من أدوات تصوير العواطف والانفعالات والأهواء وكيفية جيشانها، أو موتها، ولا جدال في أن الشعر خطاب تتمظهر داخله البلاغة، باعتبارها أهم ما تحقق بها أدبيته .

على شاكلة قول الملك الضليل، واصفا ليله، ومدى ثقافته عليه جاعلا من الاستعارة أداة للوصف:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلل

قال أحمد بن محمد مكي الحموي: "أراد وصف الليل بالطول، فاستعار له صلبا يتمطى به، إذ كان كل صلب يطول عند التمطي، وبالغ بأن جعل له أعجازا يردف بعضها بعضا، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب كل ساحر فاستعار له ككلا ينوء به، أي يتقل به" (2).

ومن المؤكد أن لغة النص هي الأداة التي قام عليها التصوير الاستعاري، وأنه بوساطتها حدثت تحولات على مستوى الدلالة، كما حدث التناسب العجيب بين مكونات الاستعارة وبذلك "تقوم اللغة ... بوظيفة مزدوجة في نصوص الأدب، إن إحدى عملياتها ... أن تقدم معنى إشاريا **denotative** يحيلنا إلى الأشياء والأحداث والأشخاص سواء أكانوا من الواقع أم من الخيال. ولكن دورها الأهم في الأدب ... هو التأكيد على سمات النص اللغوية، وتعميق تأثيرها على المعنى الإشاري وتكثيفها له، ويتحقق هذا باستخدام عدد كبير من الحيل: الأداء غير المألوف، الاعتماد على اللغة المجازية كالاستعارة والرمز اعتمادا كبيرا" (3).

إن ذلك الدور ذا الشأن للغة الشعر - التي تتم بها صناعة الصور - اهتدى إليه الشاعر الجاهلي اهتداء فطريا لاعلاقة له بالمعرفة النظرية المسبقة، أو بالتأثير الوافد من تجارب الأمم الأخرى .

وبذلك ندرك كيف عانق الشعر البلاغة في أسمى تجارب الأدب، وأرقى ألوان التعبير، وهو عناق وإن يكن جاء بمحض الاستعمال الاعتيادي للغة، إلا أنه يكشف عن مدى تفضن الشاعر إلى القيمة الفنية لأدبية البلاغة أو بلاغة الأدب .

ب- دور نقدة الأدب :

ولم يكن دور نقاد الأدب هينا في توجيه الشعراء إلى الصور الفنية، وذلك أثناء تلقيهم النصوص، وهو تلق وإن يكن ذوقيا انطباعيا إلا أنه كان موجها بالفطرة إلى مشكلات الصورة: الخصائص النوعية، وميزة التناسب أو عدم التناسب، ومدى ما تطرحه من استجابة، ولتكن إعجابا.

ومهما بدا التعصب للشعر القديم، إلا أنه لا يمكننا أن نتغاضى عن أحكام نقدته الذين لم يفهم التنبيه إلى ما فيه من تقصير . قال المرزباني: " عيب على النابغة وزهير والأعشى والفرزدق وجريز والأخطل وغيرهم من حذاق الشعراء أشياء كثيرة " (4).

ولا نستبعد أن يكون من ضمن تلك العيوب ما يتعلق بالتصوير وأدواته من نجاعة في اختيار أنواعه وأنماطه، ومن فكرة التناسب بين أركانه أوالتنافر .

ولعل من الموضوعات الهامة التي ألح عليها نقاد الشعر في هذا السياق ضرورة العناية بالتشبيه ودوره في تشكيل الصورة ونقلها إلى المتلقي، وإن يكن التركيز يكاد يقع على التشبيه ومدى إصابته، وتناسب طرفيه - باعتباره يقوم على مقارنة المتخيل بأشياء تقع عليها الحواس في الواقع، وهي مقارنة يلعب فيها الخيال دورا خارقا من شأنه أن يكثف المعنى، ويختصره في بعض الإشارات حتى يحدث ذلك نوعا من الاستجابة الكامنة لدى المتقبل ولعله لذلك يرى حمادي صمود أن عناية نقدة الأدب تكاد تنصب على التشبيه الذي هو " أقرب درجات التصوير الفني وأكثرها انتشارا في الشعر العربي " (5).

وهو أقرب لأنه يقوم على فكرة التماثل والمضاهاة والحذف والزيادة، والقلب كما ينهض على المقارنة بين شيئين يتفاوتان في الصفة أو الصفات التي يشتركان فيها، يقول السكاكي: " لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين، مشبها ومشبها به . واشتركا بينهما من وجه، وإفترقا من آخر، مثل أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفا في الصفة، أو العكس... " (6).

وما دام التشبيه كذلك فإنه يتيح للباحث قدرا من الحرية والتصرف لانتيجها بقية الصور أو الأساليب، والغرض من ذلك كله هو زيادة بيان المعنى وتصويره بشكل يحوله إلى شئ يُرى في أرض الواقع .

ج- القرآن الكريم:

وأما أن القرآن له تأثير في نشأة التفكير البلاغي فأمر لا يجده إلا مكابر أو معاند مردد في الحقيقة إلى ما تضمنته سوره من إعجاز رغم اختلافها في طولها وقصرها، وموضوعاتها، وأسباب نزولها، وبداياها وخواتمها . إنه اختلاف في وحدة.

وأما أنه معجز أيضا فشيئ نستدل عليه بصريح بعض آياته . قال تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءهم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) البقرة 23-24.

وقوله تعالى: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) هود-13-14.

وقوله تعالى : (لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الإسراء -88 .

فلما أتى الإعجاز باللسان العربي المبين، كان لزاما على العرب أن يكونوا على دراية بوجوه التصرف في العربية والبيان - أي البلاغة - على حد سواء، باعتبار أن هذا النص جاء في عمومته على أساليب العرب الجارية في مخاطبتهم داخل فترة تواجدهم في شبه الجزيرة العربية . يقول الباقلاني : " إن من كان من أهل اللسان العربي إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة، وما يعدونه فصيحاً بليغاً بارعاً من غيره، فهو كالأعجمي، في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن، إلا بمثل ما بينا أن يعرف به الفارسي الذي بدأنا بذكره، وهو ومن ليس من أهل اللسان سواء " (7) .

لقد اعتنت الفنة التي قامت حول القرآن بتحليل ظاهرة الإعجاز من عدة أوجه مردها، وتجلياتها الظاهرة والعميقة، أو كونها خطاباً حجاجياً يقوم على الطرح والجدل ، ويستند إلى البراهين والعلل .

فهل أن القرآن معجز ببلاغته أو ببنظمه أو بعباراته، أو بمعانيه و بألفاظه، أو بإخباره بالغيبي أو بذكره لأحوال الأمم البائدة . وهل أن مرد تلك المعجزة إلى المعاني الظاهرة أو الباطنة ؟

لقد شكل ذلك نوعاً من المسائل دعا علماء التفسير واللغة وطائفة من العلماء المتأثرين بالفلسفة والمنطق اليوناني - وهم المتكلمون - إلى التأليف في الموضوعات السالفة الذكر، وكان ذلك من أهم ما أدى إلى ظهور البلاغة العربية. ولعل فيما يذهب إليه بعض الدارسين توضيحاً لهذا الأثر الذي أحدثته المعجزة، بحيث أن الدعوة الإسلامية كانت

" عملاً بيانياً قوياً أو شطراً واضحاً من هذا العمل " (8).

إن هيمنة أساليب البيان على الدعوة أوحى بها التعامل مع القرآن، ومحاولة تبليغه على الوجه الأكمل من خلال اختيار الأساليب الرفيعة، وأيضاً فيما يجب أن يتحلى به مفسره من امتلاك لخاصية البلاغة والفصاحة التي ترغب في تعاليمه، وتجعل الناس منقادين إلى أوامره ونواهيته.

بالإضافة إلى ذلك احتواؤه - أي القرآن الكريم - على أساليب وصياغات بلاغية لم يكن للناس عهد بها تجلت في هذا التصوير الدقيق لمشاهد القيامة، وصور المجتمعات البائدة التي كان الغرض من إيرادها تذكير بالعبر وترغيب في العقيدة، وقد تطلب ذلك كله ضرباً من الأساليب التي أولع بها الأدباء والبلاغيون واللغويون والمفسرون على حد سواء، حتى ليتمكن اعتبار ذلك وجهاً من وجوه تأثير الخطاب القرآني في البلاغة العربية، فقد راح الأدباء يقتبسون معانيه ويوظفونها في أشعارهم و مختلف أشكال تعابيرهم، ولم يكن حظ البلاغيين هيناً، إذ استهواهم التأليف في مجازه ومعانيه وإعجازه وصوره وألفاظه وجمله ورد الشبهات عنه، في حين وجدت طائفة من المشككين فيه والطاعنين عليه في إعجازه غرضها النيل منه بادعاء أن في كلام العرب ما يرتفع لمنزلته. يقول بدوي طبانة : " كان الكلام في القرآن وإعجازه من أهم مظاهر الخصومة بين العرب وغيرهم، وتعددت مذاهب القول فيه، فكان أهم الدواعي التي دعت إلى الكلام في البيان العربي الدفاع عن

القرآن ضد الذين تصدوا لإنكار إعجازه، وجدوا بلوغه المنزلة العليا من منازل الكلام، والذين ذهبوا إلى أن في كلام العرب ما يشبهه أو يدانيه وأنه كان في العرب من يستطيعون معارضته والإتيان بمثله⁽⁹⁾.
وبذلك يكون الخطاب القرآني قد أفرز نوعين من القراءة أتاحهما تلقيه أو استجابة مستمعيه، إحداهما تسلم بمضمونه وتعتقد في تعاليمه، والأخرى تمثل خطابا مضادا غرضه نفي الخطاب الأول، وكان ذلك من أهم الأسباب التي أدت إلى الارتقاء بالتفكير البلاغي ضمن مرحلة التأسيس .

2- أهم عامل خارجي :

الترجمة:

ولم يقف أثر القرآن عند ذلك بل تعداه إلى البحث عن بعض الأدوات التي تعين على التفسير والتأويل، وكانت المؤسسة السياسية - ممثلة في دور الخلفاء - قد تبنت ذلك، فقامت بتشجيع الترجمة والنقل من مختلف الثقافات، ونذرت إلى المترجمين نقل كتب الفلسفة والمنطق والآداب إلى اللغة العربية، وخاصة كتب اليونان والفرس والهند، وهي كتب وصحف لها صلة بالبلاغة وكان من أهم ما تمت ترجمته: كتابا أرسطو : الخطابة والشعر.

فأما كتاب الخطابة فتمت ترجمته في وقت مبكر، وإن تكن وجدت له عدة ترجمات -على ما يبدو - يقول أمين الخولي: إن " ابن النديم ...[يقول]: إنه يصاب أي يعثر عليه بنقل قديم، ويقال إن إسحق نقله إلى العربية، ونقله إبراهيم بن عبد الله إلى العربية، وفسره الفارابي الفيلسوف وغيره. وإسحق هذا هو إسحق بن حنين المتوفى سنة 298 هـ"⁽¹⁰⁾

وتدلنا كثرة الترجمات على ما لقيه كتابا أرسطو من عناية الناس آنذاك، خاصة هؤلاء المنشغلين بالبلاغة لما يتضمنه -أي كتاب الخطابة، و البيوطيقا أو الشعر ...[الذي] نقله أبو بشر متى بن يونس المتوفى سنة 328 هـ فهو من منقولات القرن الرابع الهجري أو على الأكثر من منقولات أواخر القرن الثالث"⁽¹¹⁾ . وقد لقي الكتابان ما لقي من إقبال الأدباء والبلاغيين ما دفعهم إلى محاولة تطبيق بعض ما ورد فيهما.

لقد أتاحت الترجمة نقل كثير من الفلسفة والمنطق اليوناني إلى البيئة العربية رغم الصدود الذي لاقاه كل منهما بادئ الأمر " فكان بين الفلسفة والدين ما كان من جذب ودفع، استعان فيه رجال الدين بأسلحة الفلسفة نفسها، فاقتبسوا المنطق وتمثلوه واعتمدوا عليه في أبحاثهم الاعتقادية "⁽¹²⁾.

ومرد ذلك إلى أن التفكير اليوناني بني على الوثنية وتعدد الآلهة، وكان ذلك النوع من المثاقفة يثير حساسية في بعض الأوساط، باعتبار أن الإسلام قام على التوحيد و محاربة الوثنية، الشيء الذي أفرز خطابا يتأسس على الوعي وضرورة إعمال العقل في هذا الوافد .

لقد فتح الاعتزال بابا واسعا في تأويل النص القرآني عندما نظر إليه على أنه ظاهر وباطن، أو هو بنية ظاهرة وأخرى عميقة، وذلك من خلال باب المجاز الشيء الذي أتاح قيام مسلك من التأويل لم يكن للناس عهد به في الغالب، وبذلك يمكن تلخيص دورهم في نشأة البلاغة من وجهتين :

"1- ما تعلق بقضية الإعجاز وتأويل بعض المعتزلة لذلك، وما نشأ عنه من ردود فعل تواصلت إلى وقت متأخر جدا بل إلى العصر الحديث .

2- ما اضطر إليه المعتزلة من تأويل لكثير من الآيات التي يتنافى ظاهرها مع أصولهم العقائدية خاصة، مبدأ التوحيد فحملوا هذه النصوص على المجاز وأصبح هذا المظهر اللغوي الموضوعي دعامة لمبادئهم مما جعلهم يهتمون به ويفيضون في شرحه " (13) .

لقد أثار الاعتقاد بورود بعض الآيات ورودا على سبيل المجاز خلافا بينهم وبين الظاهرية التي تعتقد في استحالة ذلك، حتى وجدنا " من أنكر المجاز وقال ببطلانه واعتبره قرين الكذب لذلك نزه القرآن عنه " والواقع أن فكرة المجاز - باعتباره عدولا عن ظاهر الآيات فكرة - تكاد تكون قاسما مشتركا بين اللغات الإنسانية، وأن وروده في العربية أمر يقرره علماءها، يقول ابن جني " الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك . وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، وهي : الاتساع والتوكيد والتشبيه ...

فمن ذلك قول النبي (ص) في الفرس : هو بحر . فالمعاني الثلاثة موجودة فيه ...
- وقال ابن جني : اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة، وذلك عامة الأفعال" (14) وهي فكرة رسختها المعتزلة حتى تحولت مع مرور الزمن إلى مظهر لا يكاد يخلو منه بحث وإن يكن رأي ابن جني يخلو من مجرد الإشارة إلى اعتبارية الدال، وأن اللغة في النهاية تقوم على التواضع في أكثر الحالات كما يوحي به تعريفه لها.

ولقد رأينا أبا عبيدة معمر بن المثنى ت 210 من الهجرة يؤلف كتاب مجاز القرآن وإن لم يكن يعني به ما عناه البلاغيون المتأخرون في كتبهم، إذ هو لديه تأويل الآية " ومعنى هذا أن كلمة المجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيما بعد" (15) إذ يجعلونه - أي علماء البلاغة - قسيم الحقيقة .
ينبها أبو عبيدة إلى التماثل القائم بين كلام العرب والقرآن فيقول : " وفي القرآن مثل ما في الكلام العربي من وجوه الإعراب ومن الغريب، والمعاني" (16) .

وذلك إقرار ضمنى بأن أسلوب القرآن وإن كانت له خصائصه التي تجعل منه أسلوبا أرفع من أساليب البشر إذا كان كذلك فإنه يتماثل في العديد من أساليبه مع الأساليب الجارية في لغة العرب.
ومن أمثلة ما أورده أبو عبيدة من أوجه :

قوله : " ومن مجاز ما حذف وفيه مضمرة، قال : (وأسأل القرية التي كنا فيها والعرير التي أقبلنا عليها) فهذا محذوف فيه ضمير مجازة، وسل أهل القرية ومن في العير" (17) .

وقوله : " ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى هذا الواحد على الجميع قال : (يخرجكم طفلا) في موضع أطفالا" (18) .

وقوله : " ومن مجاز المقدم والمؤخر قال : (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت .. أراد ربت واهتزت . وقال : " لم يكذبها، أي لم يرها ولم يكذبها" (19) .

لقد كان أبو عبيدة - فضلا عما تم ذكره - كثيرا ما يستند إلى الشعر العربي في تأويله للآيات، وكان ذلك أشبه بالحس الفني المهيمن عليه والذي اعتبر فيه الشعر بمثابة مرجع هام في تفسيره .

ولم تقف عنايته عند ذلك، بل تعدته إلى شرح الألفاظ، وكأنه كان يتمثل فكرة اللفظ والمعنى التي هيمنت على الفكر النقدي أمدا كبيرا، ومن أمثلة ذلك قوله: " بكل آية " أي علامة وحجة " (20).

وقوله " والفلك تقع على الواحد، وعلى الجميع، وهي السفينة والسفن، والعرب تفعل ذلك... " (21).

وقوله في موضع: " بكلمة من الله " أي بكتاب من الله، تقول العرب للرجل: أنشدني كلمة كذا وكذا، أي قصيدة وإن طالت " (21).

وقوله " للذي بيعة " هي اسم لبطن مكة، وذلك لأنهم يتباكون فيها ويزدحمون " (22).

ونحن إذا توقفنا عند هذا الكتاب لا نقصد أنه يقع ضمن مؤلفات البلاغة، وإنما غرضنا هو تبيان كيف أن فكرة المجاز أخذت تتسع شيئا فشيئا حتى قامت في أذهان العلماء واستطاعوا أن يتمثلوها أحسن تمثيل وكأنها تحولت إلى ركن تتدعم به فكرة تأسيس التفكير البلاغي عند العرب .

ونريد أن ننبه في هذا السياق إلى أن بعض الباحثين لا يعد كتاب مجاز القرآن من ضمن كتب البلاغة، وهذا لخصوصية دلالة المجاز لدى مؤلفه، وأيضا لتشعب المسائل التي عرض لها، و لأن مفهوم المجاز لم يكن ليختص به هو دون علماء آخرين، خاصة في مجال الدرس اللغوي (23).

إننا - ونحن نحوض في مسألة العوامل الخارجية التي أذكت التفكير البلاغي - لا بد أن نتوقف عند دور فئة المتكلمين، أو علماء الكلام الذين أرسوا أسس تفكيرهم على الفلسفة والمنطق - كما مر معنا - رغم أن تأثرهم بذلك النوع من المعارف كان تأثرا عكسيا، وليس انقيادا كذلك الذي يجعل من العالم عبدا لآراء غيره، وقد أشاد الجاحظ ت 255 هـ بدور هؤلاء المتكلمين و بفضلهم على العامة بقوله: " لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام، واختطفت واسترقت ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون " (24).

يأتي على رأس أولئك المتكلمين المعتزلة، وهم فرقة من المتكلمين يعود الفضل في تأسيسها لوائل بن عطاء، وقد ذكر الشهر ستاني أن سبب تسميتهم بالمعتزلة يعود إلى ما أجاب به زعيمهم واصل بن عطاء بعض أصحاب الحسن البصري بعد مسألة: مرتكب الكبيرة أهو مؤمن أم كافر؟ قال واصل: " أنا لا أقول: إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل إلى أسطوانة المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن . فقال الحسن: " اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة " (25).

ونظن بعدئذ أن فضل الاعتزال في مرحلة التأسيس الفكري للبلاغة لا يقتصر على هذا بل يتعداه إلى مجالات حيوية مرتبطة بالتفكير الألوهي، ومسألة القضاء والقدر أو نفي الصفات عن الذات الإلهية إلى غيرها من المسائل الشائكة، بل إن هذا الفضل ليبدو كما يرى حسين مروّة في المنهج الذي اصطنعه " إن هذا المنهج بذاته هو الجانب الثوري للمعارضة . نعني به المنهج العقلاني الذي كان اتجاهه البارز عقلنة مسائل ميتافيزيقا الإسلام كلها، ووضع العقل البشري في المكانة الأولى من قضية المعرفة " (26).

ولعله لا يخفى بعدئذ ما حمله هذا التوجه من جرأة في الطرح أدت إلى تقويض بنية الخطاب الذي يتصدى لتحليل النصوص، فيكتفي بظاها دون تأويلها، الشئ الذي أدى إلى قيام جدل بين مختلف الأوساط الفكرية، خاصة تلك التي انشغلت بالنص القرآني وتأويله وتأويلا يتماشى ومعتقداتها .

إن إخضاع جميع المسائل إلى العقل من شأنه أن يسم المنهج بسمه العلمية، ويبعده عن الانطباعية والإغراق في الذاتية، وهو اتجاه ما فتى ينادي به الدارسون شرقا وغربا ومنذ عهد بعيد " نريد أن ندرس الأدب دراسة علمية، كما يقول الأوروبيون " (27).

لم يكن تأثير نشأة بلاغة العرب كما هو باد في آثار المتكلمين، بل كان من العوامل الخارجية أيضا ما تم عن طريق كتاب يندرون من أصول فارسية، كانوا على درجة كبيرة من إتقان اللغتين العربية والفارسية، مثل عبد الله بن المقفع "أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي، مضطعا باللغتين، فصيحاً بهما وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها : كتاب خدای نامه في السير - كتاب آيين نامه في الآيين - كتاب كلیلة ودمنة - كتاب مزدك - كتاب التاج من سيرة أنو شرو ان " (28).

وقد ساق الجاحظ بعض أخباره مثل بلاغته، وامتهانه التعليم، إذ ألزمه إسماعيل ابن علي بعض بنيه ليعلمه (29).

لقد أتاح اشتغال ابن المقفع على ترجمة الآداب - بما فيها البلاغة - إلى العربية والقيام على تعليمها للناشئة قدرا من الإسهام الفعلي في نشأتها وفي أن تصب في نهرها العظيم كثير من الروافد الفارسية، وهو إسهام نجد مثيلا له في جهود سهل بن هارون الذي تدل بعض أعماله على أنه ألف قصصا على لسان الحيوان شبيها بكتاب كلیلة ودمنة، وكان حكيما فصيحاً شاعرا، فارسي الأصل، شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب. وله من الكتب: كتاب ديوان الرسائل، كتاب ثلثة وعفرة على مثال كلیلة ودمنة ... كتاب النمر والثعلب، كتاب تدبير الملك والسياسة... (30).

ولم يكن التأليف في فن القصص الحيواني، أو شئون السياسة والملك من الفنون التي عرفها الأدب العربي أو البلاغة من قبل، كما لم تعرف بعض الآداب الأخرى كأدب الكُدية مثلما هو الشأن في مقامات بدیع الزمان الهمذاني، وكلها فنون ذاع صيتها في أدب الفرس، ومن ثم انتقلت إلى الأدب العربي، وأوجدت لنفسها مكانا بين فنونه .

إن ما يمكن استنتاجه في هذا السياق أن الروافد الأجنبية أوجدت في الخطاب الأدبي العربي أشكالا جديدة أغنته وأثرت به من حيز الجغرافية الضيقة إلى أفق العالمية الرحب، إن العالمية التي نعنيها في هذا المقام قد تنطبق على المفهوم العربي المعاصر لها، وهي أنها " ميزة إبداعية رفيعة تنبع من المحلية، أي من ارتباط الكاتب بالمكان والثقافة التي ينبع منها، والعالمية بهذا المفهوم قيمة جوهرية يرتفع الأدب بتحققها وينتشر في العالم أجمع " (31).

إن هذه العالمية ظهرت في قصص ألف ليلة و ليلة، كما ظهرت في كتاب حازم القرطاجني الأندلسي ت684هـ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء الذي استلهم نظرية المحاكاة اليونانية، وحاول تطبيقها على الشعر العربي، وكان شديد الإشادة بآراء أرسطو طاليس في مجال الأدب والبلاغة على السواء.

وكان من أوجه التأثير بتلك الروافد ما أورده الجاحظ من تعريف للبلاغة لدى مختلف الأمم، وهي تعريفات تتبني تحت ما يعرف بنظرية المساءلة. " قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال : معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال حسن الاقتضاب عند

البداية، والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي ما البلاغة؟ قال : وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة . وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة **البصر بالحجة**، والمعرفة بمواضع الفرصة " (32) . ومعلوم أن التعريف الأخير يتعلق بلون من ألوان الخطاب، وهو الخطاب الإقناعي الذي يقوم على الجدل والحجاج اللذين يشكلان عموده الفقري .

3- دور علماء اللغة :

كانت البلاغة على ما يبدو إحدى ما اشغل به علماء اللغة، ظهر ذلك في احتواء مؤلفاتهم على مسائل تتوزع على علوم البلاغة، وكان الحافظ على ذلك دراسة الخطاب القرآني من أوجه مختلفة تتفاوت في طبيعة القضايا موضوع التحليل، وأوجه الأساليب التي جاءت على سنن العرب في كلامها أو التي لم تجيء، وكان الاعتقاد الراسخ لدى أغلب العلماء أن جميع العلوم اللسانية العربية إنما أوجدت - بل يجب أن توجد - بعد أن طغى اللحن، وأصبح الناس يضيعون ذرعا بابتعاد لغة الضاد عن السنن الذي سنه العرب الأوائل المشهود لهم بالفصاحة، وهم عرب الجزيرة قبل اختلاطهم بالأعاجم . لقد شكلت ظاهرة اللحن نوعا من الخرق يقوم على الإبدال، والتحلل من الضوابط المتمثلة في الحركات التي تنتهي بها الكلمات، وكان السبب في انتشاره - كما تقرر المؤلفات - اختلاط العرب بغيرهم من الأقوام وهو سبب مباشر على ما يبدو، في حين أن اختلاف الأجناس - كما يفهم من طبيعة العصر - انعكس على اللغة باعتبارها ظاهرة مجسدة لمختلف الجماعات بحيث تعددت اللغات، وأصبحت العربية تخوض صراعا مريرا، ظهر في عدم امتلاك بعض المتداولين بها لخاصيتها . وكان ذلك بدوره حافزا لتبلور التفكير البلاغي تبلورا يهدف إلى إيانة ما تضمنه القرآن من جمال ونظم ومن بلاغة لا تضاهيها البلاغة البشرية مهما طال أمدها .

لقد أدى الإحساس بضياع العربية - وهو إحساس ولده صراع القوميات، العربية من ناحية، والفارسية والهندية واليونانية من ناحية أخرى، إلى ضرورة التصدي لظاهرة اللحن، باعتبارها إيديولوجيا تقوم على الهدم عن قصد أو عن غير قصد، وقيام علوم اصطلاح عليها بعلوم العربية" ... استقت مادتها من معين واحد تحقيقا لهدف جليل هو صون لغة القرآن الكريم من اللحن، ومحاولة فهمها وتفسيرها ثم بيان إعجاز هذا الكتاب الذي تنزل بها" (33) .

إننا لانستبعد أن يكون العصر العباسي شهد تنوعا لغويا أو صراعا كانت تغذيه عدة عوامل داخلية وأخرى خارجية . صراع إيديولوجي بالدرجة الأولى أشبه بالحرب التي تخوضها بعض الأمم في مواجهة بعضها الآخر . إنها حرب اللغات التي "لم تكن لتكون لو كان العالم كله يتكلم لغة واحدة، فالتعدد اللغوي أصل النزاع، ولا يعني هذا القول أنه السبب الوحيد لهذه الحرب، ولكنه الشرط الضروري لحصولها" (34) .

لذلك فإن النظر إلى انتشار اللحن لا يمكن اعتباره نتيجة من نتائج الإقبال على تعلم العربية أو النص القرآني فحسب، بل يمكن عده على أنه نتاج طبيعي لما يحدث من لقاء الأمم بعضها ببعض، وهو في النهاية مؤشر على الصراع اللغوي الذي تخوضه العربية مع بقية اللغات واللهجات في القطر الواحد أو الأقطار العديدة .

لقد كان من آثار الحد من انتشار اللحن أن نشأ علم النحو، وكان البحث في الإعجاز قد أوجد بدوره علما كالبلاغة أخذ على عاتقه دراسة الخطاب القرآني من الوجهة التي تظهر أنه خطاب إلهي لا يمكن أن يأتي البشر ببعض السور أو الآيات منه تحقيقا لما نادى به، كما نهضت البلاغة بقضايا الرد على الرافضة ومن سار في

ركابهم، كما تولت البلاغة تصنيف الأساليب اعتمادا على كلام العرب، وكان من آثار ذلك التقريب بين النحو والبلاغة على نحو ما نقف عليه في مبحث الفصاحة ما يتعلق بضبط أواخر الألفاظ، لذلك أوجد -فيما نرجح - مبحث **الفصاحة والبلاغة** وكان من تحديدهم المشهورة في هذا الباب، قولهم في فصاحة المفرد: " **خلوصه من تنافر الحروف والغريبة ومخالفة القياس اللغوي** " (34).

ولا تحوز اللفظة على تلك الصفات إلا إذا كانت من ألفاظ العرب **الأفحاح** الذين لم تخالط لغتهم العجمة . ومن الملاحظ أن التنافر بين الحروف صفة يتحدد بموجبها حسن التجاور بين الأصوات، يقابله **التعقيد الصوتي أو الثقل**، ومن أمثله قول أعرابي سئل عن ناقته، فقال: **تركنتها ترعى الهعخع**. وهي ظاهرة يعود فضل اكتشافها إلى علماء اللغة، فقد روي عن الخليل قوله " **سمعنا كلمة شنعاء وهي -الهعخع، وأنكر تأليفها ... كل ذلك اعتمادا للخفة، وتجنبنا للثقل في النطق** " (35).

وربما اندرجت ضمن هذا السياق بعض ملاحظات الأصمعي ت 216 من الهجرة بشأن ما يسميه علماء اللسان المحدثون **بالأصوات المميزة**، قال: " **ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسريان ذال** " (36) . ولا نستبعد أن تكون **هذه المقارنات** تولدت عن العناية باللغة العربية في جميع مستوياتها الصوتية، وغير الصوتية، رغم أنها تهمل ركنا مهما آخر لا يقل شأنها، وهو **خلو العربية في المقابل من بعض الأصوات التي تتوفر عليها بعض اللغات الأخرى** .

ومن المؤسف أن تلك العناية لم تستمر إلى العصور الأخيرة من حركة التأليف البلاغي، الشئ الذي جعل **عبد القاهر الجرجاني** ت 471 من الهجرة يوجه الأنظار إلى ذلك، إذ " **شكا عبد القاهر ما نشكو من زهادة الكتاب في اللغة وانصرافهم عن النحو واستخفافهم بالبيبا، وتكريمهم للشعر، وجريهم في الصياغة على الاحتذاء** " (37) ...

نريد في مقابل ذلك التذكير بالجهد الذي بذله علماء اللغة في نشأة البلاغة العربية، وهو جهد له أوجه عديدة يتعذر إحصاؤها، فقد كانوا سباقين لدراسة التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب والمساواة، والحذف والذكر، والفصل والوصل ولم تفتهم العناية بالتنشيب الذي أطالوا الوقوف عنده على نحو ما يلاحظ في كتاب الكامل للمبرد ت 285 من الهجرة، ولم تغب عنهم إيانة الفرق بين الحقيقة والمجاز، والحديث في الاستعارة ومواطن الجمال فيها، والكناية وفضل العدول إليها بدل التصريح، وكل ذلك يشكل أهم المباحث التي تأثرت عليها أركان صرح البلاغة العربية، وهو ما يكشف عن طبيعة جهود علماء، وهي جهود غلب عليها التنوع والابتكار والسبق. بحيث استمر تأثيرها إلى يومنا هذا، الشئ الذي أثبت سداد آرائهم في مجال التفكير البلاغي. وهو مجال ازدهر بعد امتداد جسور التواصل بين البلاغة العربية والبلاغة الجديدة الوافدة من الغرب، وحسبا أن نقف على تأسيسهم لكثير من **المصطلحات البلاغية**، وهي مصطلحات اتسمت باستخدامهم الواعي لها. من أمثلتها قول الأصمعي: " **البلغ من طبق المفصل، وأغناك عن المفسر** " (38) .

وقد استحسن الجاحظ الطريقة التي تتم بها صياغة المصطلح على نحو قوله معلقا على إصابة عين المعنى بالكلام الموجز " **فلان يفل المحز ويصيب المفصل - وأخذوا ذلك من صفة الجزر الحاذق، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز** " (39) .

ومعلوم أن صياغة المصطلح وفق ما تمت إبانته مسلكه أغلب اللغويين منذ الخليل بن أحمد ت 175 من الهجرة مؤلف **معجم العين**، وسيبويه ت 180 من الهجرة. صاحب **الكتاب** في النحو، وهي طريقة تقوم على استحضار متصور عقلي أساسه تجارب تقع خارج نطاق الخطاب الأدبي، يتم جلبها وتوظيفها داخل ذلك النطاق تحديدا للدلالة، وتقريبا للفهم، إنه استيحاء يتشكل تشكيلا لسانيا ضمن لغة التواصل، الشئ الذي يوحي بأنه جمع للعلامات المفردة داخل سياق يعيد لها صياغة جديدة أو وظيفة داخل وضعها الجديد.

ولعل هذه الفكرة تقودنا إلى ما كان يعتدل في فكر زعيم الفلسفة المثالية هيغل، هي فكرة تتعلق بكيفية تحول دلالة الكلمة- في طور تال ضمن عملية التواصل - بقوله " الكلمة في اللغة علامة صوتية، هي تنطق ثم تكتب، الكلمة شئ ما موجود في العالم الخارجي، ولكنها تصبح داخلية بمجرد أن يتلقاها الشعور فتصبح صورة . وحين تصبح الكلمة داخلية، **وتندمج مع الكلي الذي تدل عليه**، تستخدم كاسم في الاتصال بين الناس، ويضيف هيغل أن الاسم تمثيل بسيط غير متخيل، وهو كاف، ونحن نفكر في الأسماء "(40).

وربما أغنت الإشارة في هذا الصدد عن ذكر كل منجزات اللغويين في مجال البلاغة بحرصهم على مصطلح " **الحجاج** " الذي ورد ذكره ضمن ترجماتهم لبعض العلماء وفي مواضع عديدة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك إيراد السيوطي ت 911 من الهجرة له في بعض تراجمه قال في موضع من بغية الوعاة : أحمد بن عبد الوهاب بن يونس القرطبي أبو عمرو المعروف بابن صلى الله، قال ابن الفرضي: كان حافظا للفقه، عالما بالاختلاف، **ذكيا بصيرا بالحجاج ... وكان ينسب إلى الاعتزال**(41).

ومعلوم أن للحجاج **l'argumentation** صلة قوية بالبلاغة باعتبارها من وسائل الإقناع وذلك منذ القديم إلى يومنا هذا، وهو وإن كان كذلك إلا أنه متمخض عن الجدل وثمره من ثماره الذي يعد هو الآخر " **عصب البلاغة** " كما يقول الزيات (42). هذا إذا أضفنا إلى ذلك السبب فضاء المناظرات والحوارات التي نشطت منذ عصر يونان.

إنه -أي الحجاج - منبجس في النشاط الثقافي للباط والمتلقي، يقول روني باي إن الحجاج : " **نشاط ثقافي في الإنتاج والتلقي** " (43).

وقد يكون من الصائب تصور قيام الحجاج بشكل مزدهر في البيئات الإسلامية بفعل ما كان يدور بين مختلف الفرق من جدل منفتح على النقاش وتقبل رأي الآخر، كيف لا يحدث ذلك، وقد كانت كل فرقة تريد أن تقع الفرق الأخرى بعدالة القضايا التي تحملها. لقد أكد الدارسون ضرورة انفتاح الحجاج أما م جميع الآراء، بحيث لا يظل بابا موصدا يحول دون طرح مختلف الآراء التي يتأسس عليها النقاش، يقول موشلير : " **ينبغي أن يظل الحجاج مفتوحا أمام النقاش والتقييم** "(44).

إن إسهام علماء اللغة في نشأة الفكر البلاغي لا يمكن أن نحيط به بشكل تفصيلي، وذلك لتباعد أطرافه وتداخل قضاياها، خاصة وأنهم كانوا سباقين لتأسيس كثير من مباحث البلاغة العربية، وهي مباحث أوردتها كتب البلاغة على اختلاف تواريخ تأليفها، وقد وجدنا من البلاغيين من يعترف بفضلهم في إرساء دعائم المباحث البيانية . فابن المعتز ت 296 من الهجرة على سبيل المثال يقول في المطابقة : " قال الخليل رحمه الله يقال طابقت بين الشئين إذا جمعتهما على حدو واحد " (45) - فأرجع بذلك الفضل فيها إلى الخليل بن أحمد، وهو لغوي من الطبقة الأولى .

إن التركيز على المعنى اللغوي للمصطلح - كما يظهر في هذا المثال - مرده إلى أن اللغة هي المجال الرحب الذي تقتبس منه جميع الاصطلاحات، وقد تظن البلاغيون إلى هذا وهم يؤسسون اصطلاحاتهم ويربطونها بالعلاقات التي تميز الخطاب الأدبي داخل مجال ثان هو مجال تخصصهم، فلاغرو عندئذ أن تتداخل المباحث اللغوية-النحوية مع المباحث البلاغية تداخلا نقف عليه في علم المعاني، وهذا على الرغم من اختلاف الوظيفة بين العلمين .

لقد وجد البلاغيون واللغويون في الشعر مادة خصبة تتبدى فيها طاقات الإبداع، ومظاهر العبقرية، فراحوا يستنبطون منه الأحكام، ويضعون القوانين التي تفسر العدول، وخرق القواعد وحركية السياق، باعتباره-أي السياق - شيئاً غير قابل للثبات لما يطرأ عليه من حذف وذكر، و تقديم وتأخير، مراعاة للجواز و الخيار والوجوب، للاتساع والضيق، للعمق و السطح . إنه شبيه في هذا الوضع بشئ يتحرك وفق إرادة كائن ما، وهو يتحرك كلما أراد له أن يتحرك، أو يثبت إن أراد له ذلك .

لا بد من التنبيه في هذا المقام إلى أن تلك الجهود لم ترتق إلى الشأو الذي يأمل الدارسون المحدثون أن تصل إليه البلاغة العربية، لأن " كتب البلاغة في لغتنا [لم تعن] إلا بالجمال وما يعرض لها في علم المعاني، وإلا بالصور وما يتنوع منها في علم البيان، أما الأسلوب من حيث هو فكرة وصورة معا فقد سكنت عنه سكوت الجاهل به "(46) .

4- خاتمة:

إن البلاغة العربية التي كانت نشأتها بفعل تضافر عدة عوامل ظلت مرتبطة بالخطاب الشعري الذي يبدو أنه يعطل الملكات الإبداعية، ولا يمكّن ظهور العبقرية الفردية، نتيجة القيود المفروضة على الشاعر فليس الشاعر كالناثر الذي يجد نفسه في حل من تلك القيود. "الشاعر لا يجد في شعره الحرية المطلقة التي يجدها الناثر في نثره"(47).

وكان مآل البلاغة العربية إلى الأفول بعد الزهو، والضيق بعد الرحابة وهذا بفعل مظاهر الوهن و الضعف اللذين تسريا إلى الحياة عامة، حتى غدت البلاغة مرتعا للكسالى على حد عبارة غوستاف لانسون حينما كان يوجه نقده لأدباء فرنسا. وأصبح البلاغيون يتخذون من كتاب مفتاح العلوم قطبا يدورون حوله، ومنارة يهتدون بها، وذلك بعد أن قاموا بتلخيص كتابه وشرحه، ثم وضعوا حواشي وتقارير عليه، وعلى غيره من المؤلفات. محاولين من وراء ذلك التيسير، وتقريب مسائل العلم للناشئة .

ولم تدم تلك الحال، إذ توجه المهتمون بالبلاغة إلى بلاغات الأمم الأخرى، وحاولوا أن يبحثوا أوجه الاتفاق بينها جميعا " رأى بعض الباحثين من المعاصرين صفات مشتركة، وملامح متشابهة بين البيان العربي وغيره، أو بين طرق النظر فيه، وطرق النظر في غيره من الآداب الأجنبية... "(48) . فراحوا يقتبسون من تلك البلاغات ما يقيم أود البلاغة العربية بشكل لاعهد به من قبل، بعد أن وجد أولئك الدارسون من تلك الأوجه ما يعيد النظر في مسائل بيانية شتى منها- على سبيل الذكر- ما أحرزته اللسانيات من ثورة عارمة أطاحت بالمفهوم التقليدي للخطاب، وأسس مكوناته في مختلف مجالات التواصل . إن التقاء اللغات في مضمار كهذا -بعد الصلات التي تحدث عادة بينها- كالترجمة من لغة إلى أخرى، أو المقارنة بين البلاغات، أو هجرة الأفكار من

لغة إلى أخرى، رغبة في استثمار المناهج، كل ذلك من شأنه أن يطرح نوعاً من الحيرة أو الأسئلة " تحفز إلى التماس الجواب، وتستمد هذه الأسئلة أهميتها من وثاقة صلتها بقضايا النظرية اللسانية، تتميماً للغات أو استنباطاً للكليات الجامعة بينها، وبما نثيره المباشرة اليومية للنصوص من مشكلات على صعيد النقل والترجمة⁽⁴⁹⁾. ولم يتوقف تأثير الألسنية على ذلك، بل تعداه إلى منجزات أخرى منها ظهور علم المصطلح، وعلم الدلالة، والمنهج الأسلوبي، وتحديد مراتب الدراسة الأسلوبية في شتى ألوان الخطاب الشعري أو السردي بمختلف أجناسه: الرواية القصة، الأخبار و السير - أو الإشهاري، و في مجال العمل المسرحي، فتوسعت بذلك العناية بالخطاب، ولم تعد منحصرة في الشعر. لقد أصبحنا على يقين اليوم أن مرحلة جديدة من حياة البلاغة يمكن تصور نشأتها انطلاقاً من هذا الفيض الزاخر الذي قذفت به إلينا اللسانيات، وكان شبيهاً بالمد الذي أتى على كل متصور يدين بالولاء للقديم والذي لم يلفظه التفكير البلاغي بل استوعبه وتمثله سواء في التنظير أو الإجراء. وكأنه ينذر بضرورة مشروعية هذه الفترة باعتبارها بداية أخرى لتفكير بلاغي مؤسس على العالمية بدل المحلية الضيقة. لقد وطن لدينا هذا الاعتقاد إمكانية قيام علاقات بين البلاغة العربية وعلم الأسلوب اللساني، نظراً للتشابه الحاصل بينهما. من شأنها أن تعيد الاعتبار للموروث البلاغي، وأن تستثمر إمكاناته استثماراً يسمه بالدينامية، وينأى به عن الجمود والتقليد .

الهوامش

- 1- أمين الخولي، مناهج تجديد، ص 79 .
- يرى الخولي أن تاريخ البلاغة الصحيح يقوم على ثلاث نواح الأولى : تاريخ مسائل المادة وقضاياها، تاريخاً يصف نشأة المسألة وبدء ظهورها ... بحيث يعطي المسألة سجلاً بينا لعمرها وما طرأ عليها أثناءه من تغير .
- الناحيتان المتبقيتان : تاريخ المفكرين وتاريخ التأليف والمؤلفات في المادة، ينظر المرجع السابق، 67،68 " بتصرف".
- 2- ينظر درر العبارات و غرر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات، تحقيق إبراهيم عبد الحميد التلب، ص 28 .
- 3- ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، ص 33 .
- 4- الموشح، ص 43.
- 5- التفكير البلاغي عند العرب، ص 29 .
- 6- مفتاح العلوم، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، ص 439 .
- 7 - إعجاز القرآن، تحقيق د. أبو بكر عبد الرزاق، ص 85 .
- 8 - أمين الخولي، مناهج تجديد، ص 74.
- 9 - البيان العربي، 18 .
- 10 - البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها، ص 11 " بتصرف " .
- 11 - المرجع السابق، ص 11.
- 12- المرجع السابق، ص 3 .
- 13- حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص 37 .
- 14- ابن جني، الخصائص 2، 442.
- 15- مجاز القرآن، تحقيق فؤاد سزكين، 1، 19 .
- 16- المصدر السابق، 1، 8.

- 17 - المصدر السابق، 8، 1 .
- 18 - المصدر السابق، 9، 1 .
- 19 - المصدر السابق، 12، 1 .
- 20 - المصدر السابق، 1، 60 .
- 21 - المصدر السابق، 1، 62 .
- 22 - المصدر السابق، 1، 91 .
- 32- ينظر، حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص 40، 41 .
- 24 - ينظر الحيوان، 289، 4 .
- 25 - ينظر الملل والنحل، 1، 48 .
- 26- النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، 403 .
- 27- ينظر أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، ص 8.
- 28- ينظر الفهرست . تحقيق د. مصطفى الشويمي، ص 523 .
- 29- البيان والتبيين 1، 208، 252.
- 30 - ينظر الفهرست، ص 529، 530 .
- 31- د. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 188، 189 .
- 32- ينظر البيان والتبيين، 1، 88 .
- 33- د. أحمد سعد محمد، الأصول البلاغية في كتاب سيبويه، تمهيد، ص 13 .
- 34- ينظر، لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د. حسين حمزة -المنظمة العربية للترجمة، ص 61.
- 35 - ينظر، عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح 1، 110.
- 36 - سر الفصاحة، ص 58، 75.
- 37- ينظر البيان والتبيين، 1، 65 .
- 38 - البيان والتبيين، 1، 106 .
- 39 - البيان والتبيين 1، 106 .
- 40- ينظر عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص 12.
- 41 - بغية الوعاة، 1، 332 .
- 42 - ينظر دفاع عن البلاغة، ص 21.
- 43 - مقدمة في المنطق والحجاج، نقلا عن د، عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 12 .
- 44- المرجع السابق، ص 12 .
- 45- البديع، تحقيق، إغناطيوس كراتشوفسكي، 36.
- 46 - أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، ص 54 .
- 47 - أحمد ضيف، مقدمة لدراسة بلاغة العرب، ص 68.
- 48 - د. بدوي طبانة، البيان العربي، ص 7.
- 49 - ينظر، د. سعد عبد العزيز مصلوح في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 98.